عنوان البرنامج: مدخل إلى الفكر العقدي السني
الوحدة الأولى: مدخل في تحديد المفاهيم وشرح الاصطلاحات
الدرس الثالث: مسميات علم العقيدة: (توحيد، علم الكلام، أصول الدين، إلهيات...)
اسم المحاضر: الدكتور جمال علال البختي

مسميات علم العقيدة
(توحيد، علم الكلام، أصول الدين، إلهيات...)

لعلم العقيدة أسماء واصطلاحات أخرى كثيرة منها المتفق عليه بين المذاهب الإسلامية، ومنها المختلف فيه. فالمتفق عليه اصطلاحات: -أصول الدين -وعلم التوحيد -والفقه الأكبر -وعلم التوحيد والصفات -والعلم الإلهي. والمختلف فيه اصطلاحات: -علم الكلام - وعلم النظر والاستدلال - والفلسفة الإسلامية.

فلنقف عند أهم هذه التسميات والاصطلاحات ومعانيها بالكثير من الاختصار.

أ- علم أصول الدين:

علم أصول الدين: هو علم العقائد، لأن الأصول جمع أصل، وهو لغة ما يبنى عليه غيره، وجُعِلَ الإيمان باعتبار متعلقه أصولا للدين، لأن العقائد هي أصول الدين، وعليها مبنى الإسلام. فبدون إيمان لا يتحقق وجود للدين والإسلام، فلا دين ولا إسلام بدون عقيدة وإيمان.

وتقوم هذه التسمية على شرف هذا العلم وعلو منزلته، إذ **يتناول الأصول الاعتقادية التي تبنى عليها الفروع**، وذلك رأس العلوم الإسلامية، إذ إليه تنتهي هذه العلوم، وفيه تُبيَّن مبادئها وموضوعاتها. فتسمية أصول الدين إنما جاءت لأن موضوعه يتناول أركان الدين، وهي الإيمان بالله تعالى ووحدانيته سبحانه، وصفاته وأفعاله، والإيمان بالوحي والرسل والبعث، والثواب والعقاب في الآخرة، وتلك أصول للدين. ويرى اليفرني أن «وجه تسميته بأصول الدين لأن علوم الدين كلها بالنسبة إلى هذا العلم فهي فروع. وفروع الدين هي علم التفسير، وعلم الحديث، وأصول الفقه، والفقه، فهي مبنية على هذا العلم

لأن أصل الشيء ما يبنى عليه ذلك الشيء». ثم مضى موضحا أن الباحث في أصول الدين يقسم الوجود إلى القديم والحادث و«ينظر في القديم ومخالفته للحوادث، وأنه لا بد له من أحكام يتميز بها تجب له أو تستحيل عليه أو تجوز، ويعلم أن العالَم من أفعاله الجائزة، وأن بعثة الأنبياء إلى خلقه من الجائزات، وأن من الممكنات نصب المعجزات للدلالة على صدقهم.. ويعلم أن هذا الجائز قد وقع، فإذا ثبت صدق النبي انعزل العقل وحكم باتباع النبي فيما يأتي به، مما يوافق العقول، ويحكم العقل بجوازه، إذ الشرع لا يرد بما ينافي العقول. فالسمع يعين طرفي السعادة والشقاوة في الدار الآخر، والعقل يجوز ذلك. فإذا انتهى نظر العقل واستمر السمع أخذ **المفسر** واحدا خاصا من العلوم الدينية وهو الكتاب الوارد على لسان النبي المدلول على صدقه بالمعجزة، وأخذ **المحدث** واحدا خاصا وهو قول الرسول واشتغل بإثباته، وأخذ **الفقيه** واحدا خاصا وهو فعل المكلف ونظر في نسبته إلى خطاب الشارع من حيث الوجوب والندب والحظر والكراهة والإباحة...»، فإذن **علم «أصول الدين» هو المتكفل بمبادئ العلوم الدينية كلها**، فهو أهمها وأشرفها في الرتبة.

وإذا كان ولا بد من وضع حد لهذا العلم نقول: «**إنه علم يقتدر معه** (أي يحصل مع ذلك العلم حصولا دائما عاديا) **قدرة ثابتة على إثبات العقائد الدينية** (المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم) **على الغير، وإلزامها إياه بإيراد الحجج ودفع الشبه عنها**».

فعلم أصول الدين إذن علم دقيق خطير لأنه يقوم على إثبات العقائد الدينية الإسلامية، وبنائها في قلوب المسلمين، كما يسعى إلى مواجهة خصوم العقيدة والرد على طعونهم وتشكيكاتهم. ولذلك كان من أشرف العلوم وأجلها وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله.

ب- علم التوحيد: يعد مصطلح «**التوحيد**» أدق مصطلح وأشمله للعلم الذي يبحث في العقيدة، ولا يوجد خلاف بين العلماء والمذاهب في استعماله وتسميته به، لأن توحيد البارئ سبحانه في الذات والصفات والأفعال من أسمى غايات هذا العلم. وقد أطلقت هذه التسمية على العلم نعتا له بأهم أجزائه، إذ البحث في التوحيد مبحث أساسي من مباحث علم أصول الدين. قال اليفرني في «مباحثه»: «وأما وجه تسميته بعلم التوحيد فلأنه هو المطلوب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم-. قال تعالى: «**قل هو الله أحد**»، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»».

ج- الفقه الأكبر: عرف الفارابي العلم الذي نحن بصدده بأنه: «صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدَدة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل .. وهي **الفقه الأكبر** لأن الفقه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولا فيستنبط منها أشياء أخرى».

ومن هذا المنطلق سمى الحنفية علم أصول الدين بـ«**الفقه الأكبر**» ونسبوا إلى أبي حنيفة كتابا في العلم بهذا الاسم، لأنه يتعلق بالأحكام الاعتقادية الأصلية في مقابل علم الفقه الذي يتعلق بالأحكام الفرعية العملية.

د- علم التوحيد والصفات: وهي تسمية للعلم أطلقها التفتازاني شارح «العقائد النسفية»، حيث ذكر أن «العلم المتعلق بالأحكام الفرعية العملية يسمى علم الشرائع والأحكام، والعلم بالأحكام الأصلية أي الاعتقاد يسمى علم التوحيد والصفات».

هـ- العلم الإلهي: قال اليفرني: «وأما وجه تسميته بالعلم الإلهي فلأن المقصود من هذا العلم إنما هو معرفة الإله ليعبد، قال تعالى: (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**). فلما كان المقصود هو ذلك نسب هذا العلم إلى الإله».

وإلى جانب هذه الاصطلاحات المتفق على إطلاقها وتسمية هذا العلم بها نجد وعلم فلسفة الإسلام اعتُرض عليها من طرف بعض المذاهب، قيل لأنها إطلاقات لا تتوافق والاستعمالات الشرعية، ولأنها –على زعمهم- اصطلاحات دخيلة، وأساليب مقتبسة من المذاهب والاتجاهات اليونانية والوثنية عموما المخالفة لروح الإسلام.

ومع مخالفتنا لأهذه الآراء المعترضة لا يسعنا إلا أن نقف لتحديد المراد ببعض هذه الاصطلاحات الرائجة. فمن هذه الإطلاقات:

و- علم النظر والاستدلال: ويسمى علم العقيدة بهذا الاصطلاح عند البعض لا سيما عند صاحب «**مجمع السلوك**» باانظر إلى المنهج المعتمد فيه والأسلوب الذي اعتمد لإثبات قضاياه عند بعض الفرق الكلامية، حيث رأت تلك الفرق أن النظر مرحلة أساسية في إثبات العلم والبحث في مواضيعه، والاستدلال هو مرتكز الإثبات أو النفي للقضايا المعالجة.

ز- علم الكلام: وهو الاصطلاح الأكثر شهرة والأكثر استعمالا عند أهل الاختصاص، رغم

رفض من ذكرنا لاستعماله، وقد أطلق على العلم اصطلاح: «**علم الكلام**» لاعتبارات مختلفة؛ منها:

- أن مسألة الكلام الإلهي كانت أشهر مباحثه.
- وقيل لكثرة الكلام فيه.
- وقيل لأنه يورث قدرة على الكلام، فسمي به تسمية للسبب باسم المسبب.
- وقيل أيضا: لأن نسبة هذا العلم للعلوم الإسلامية كنسبة المنطق إلى الفلسفة فسمي كلاما، وذلك حتى تقع المخالفة اللفظية بين الاسمين.
- وقال بعضهم: سمي كلاما لأن أبوابه عنونت في البداية بـ: «الكلام في كذا»...إلخ.

والذي يظهر أن **أصح الأقوال في ذلك هو الرأي القائل بأن التسمية مرتبطة بمسألة «كلام الله»**، أو «**خلق القرآن**» (**من باب تسمية الشيء ببعضه وهذا معروف**). فمسألة كلام الله أشهر مسألة ثار حول الجدل والخلافات بين المتكلمين في عهد الخليفة المأمون، إذ احتدم الصراع حولها إلى درجة إسالة الدماء وإزهاق الأرواح بين المعتزلة والحنابلة حول مشكل القرآن وخلقه أو عدم خلقه، وهل كلامه تعالى محدث أم قديم، فأطلقت تسمية «الكلام» على العلم كله لذلك.

ح- الفلسفة الإسلامية: وهذا اختيار بعض المعاصرين الذين يرون في علم الكلام فلسفة إسلامية راقية، ويأتي على رأس هؤلاء مصطفى عبد الرازق، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، وعلي سامي النشار الذين يرون في العلم أصالة الفلسفة الإسلامية وعبقريتها واستقلالها.

والحمد لله رب العالمين